الأربعون في الابتلاء

خالد بن سعود البليهد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فهذه أربعون حديثا ممَّا ورد في باب الابتلاء في سببه وحكمته وفضل الصَّبر عليه والرِّضا به وعظيم جزائه في الآخرة وتكفيره للسَّيِّئات وأنواعه وأحوال الناس فيه وقد شرحت معناها على سبيل الاختصار وقد أفردت هذا الباب لعظم خطورته وكثرة وقوعه وشدَّة الحاجة إليه والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم نافعا لي يوم القيامة إنَّه جواد كريم.

خالد بن سعود البليهد

الرياض في : ١٤٣٨/٢/٢٧

الحديث الأول

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث على أنَّ كل ما يصيب المؤمن من تعب أو ألم أو وجع أو مرض أو هم أو غم أو حزن يكون سببا في تكفير السَّيِّئات ومحو الذنوب ورفعة الدَّرجات وهذا خاص بالصغائر أمَّا الكبائر فلا تكفر إلا بالتوبة الخاصة منها كما ورد في السُّنة. والمصائب تكفر السَّيِّئات إن لم يصاحبها تسخُّط بمجرد وقوعها ولا يشترط في حصول التكفير الصَّبر والاحتساب لكن لا يؤجر ولا ترفع درجته إلا إذا صبر واحتسب لأنَّ الثَّواب إنَّما يكون على العمل الصالح فالمصائب تحط السَّيِّئات والطاعات ترفع الدَّرجات وفي مسند أحمد: (أنَّهم دخلوا على أبي عبيدة بن الجراح وهو مريض فذكروا أنَّه يؤجر على مرضه فقال: ما لي من الأجر ولا مثل هذه ولكن المصائب حِطَّة).

الحديث الثاني

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

دلَّ الحديث على أنَّ الله عز وجل إذا أراد بعبد من عباده المؤمنين ثوابا ورفعة في الآخرة أصابه بالبلاء ليصبر ويحتسب ويتذلل ويقبل على ربه. وفيه دليل على أنَّ ابتلاء المؤمن أمارة على إرادة الخير له. ولا يشرع للمؤمن طلب البلاء وإنَّما المقصود الصَّبر على البلاء عند وقوعه.

الحديث الثالث

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

دلَّ الحديث على أنَّ الثَّواب والنَّعيم في الآخرة يزيد ويكثر بحسب البلاء والامتحان في لدنيا فإن زاد البلاء زاد الثَّواب وإن نقص نقص. ودلَّ على أنَّ ابتلاء العبد دليل على محبة الله له. ودلَّ أيضا على أنَّ المؤمن إذا رضي بالبلاء الله يرضى عنه وإذا سخط سخط الله عنه.

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

دلَّ الحديث على أنَّ نزول البلاء على المؤمن في نفسه وأهله وماله يطهِّره من الخطايا والذنوب حتى يلقى الله من غير خطيئة.

الحديث الخامس

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

دلَّ الحديث على أنَّ الله إذا أراد بالمؤمن خيرا أصابه بالبلاء عقوبة له في الدُّنيا ليكفر خطاياه وإذا أراد به شرا أخَّر حسابه وعقوبته للآخرة ليستوفي منه ويطهِّره وعذاب الدُّنيا أهون من عذاب الآخرة.

الحديث السادس

عَنْ سَعْد بنَ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ: (الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

دلَّ الحديث على أنَّ طائفة الأنبياء أكثر من يبتلى في الأمم لقوَّة بصيرتهم ثم يأتي بعدهم في كثرة البلاء أكثر المؤمنين إيمانا ثم من قلَّ منهم وهكذا يتفاوت أهل البلاء في كثرة البلاء وقلَّته على حسب منزلة إيمانه. ودلَّ أيضا على أنَّ البلاء مكفر للخطايا.

الحديث السابع

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ سَمِعتُ رَسَولَ اللهِ يَقُولُ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى). رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

دلَّ الحديث على أنَّ صنفا من المؤمنين يكون نزول البلاء عليهم سببا لرفعة درجتهم ومنزلتهم في الجنَّة التي لم يبلغوها بعملهم فيفتح الله عليهم بابا من البلاء ويوفقهم للصبر والاحتساب لينالوا تلك الدَّرجة الرَّفيعة فإذا كان المؤمن لم يفتح عليه بكثرة العمل وفتح عليه باب من الجنَّة من فقر أو دَّين أو مرض أو ابتلاء بعلاج والد أو رعاية ولد معاق أو قيام على قريب مبتلى ونحوه من الابتلاء الدائم فليحتسب وليقم بحق الله حتى يبلغ المنزلة العليا في الجنَّة بعبادة الصَّبر.

الحديث الثامن

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على أنَّ سائر أحوال المؤمن خير وتؤول إلى خير لما فيها من الاطمئنان والسَّكينة والرِّضا في الدُّنيا والأجر والرِّضا والنَّعيم في الآخرة وهذا الفضل والتوفيق خاص بالمؤمن لعبوديته وإخلاصه وحسن عمله وتعلقه بالله والمؤمن يتقلَّب في حالين الأولى يكون في فسحة وغنى وعافية فيشكر المنعم ويغنم والثَّانية يكون في ضيق وضرر ومرض وعسر فيصبر ويحتسب الثَّواب من الله فيغنم وتحمد له العاقبة وهكذا تكون حياة المؤمن كلها في سعادة ونعيم وهداية لا يشعر بها الكافر والمنافق.

الحديث التاسع

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ ؟ فَقَالَتْ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا فَقَالَ لَا تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على عيادة النَّبيّ صلى الله عليه وسلم المرضى ومواساتهم. ودلَّ أيضا على النَّهي عن سبِّ الحمَّى التي تصيب المريض لأنَّ الله يبتلي بها المؤمن لتكفير سيِّئاته ورفعة درجاته كما تطهِّر النَّار الحديد وتزيل عنه العلائق والله خلق الحمَّى وسائر الأمراض لحكمة وهي مخلوقة لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله وسبها لا فائدة فيه وفيه سوء أدب مع الله وقدح في حكمته.

الحديث العاشر

عَنْ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ: بَلَى قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي قَالَ إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ فَقَالَتْ أَصْبِرُ فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

دلَّ الحديث على فضل الصَّبر على مرض الصَّرع وأنَّ جزائه الجنَّة وهذا الفضل عام في كل مرض مزمن فيه مشقَّة ظاهرة والابتلاء بالسرطان أشد فمن احتسب الثَّواب وصبر فله الجنَّة فهذا الحديث فيه بشارة عظيمة لأهل الأمراض المزمنة. وفيه جواز ترك التَّداوي لمن قدر على الصَّبر ابتغاء الأجر في الآخرة. وفيه فضل عفاف المرأة وحرصها على السِّتر حتى في الظروف الطَّارئة وهذا سبيل المؤمنات العفيفات الطاهرات.

الحديث الحادي عشر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي قَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

في الحديث دليل على وجوب الصَّبر عند المصيبة. ودلَّ على أنَّ فضل الصَّبر وثوابه يكتب عند أول صدمة المؤمن بالمصيبة بحيث يحتسب ويسترجع ويملك قلبه ولسانه وجوارحه عما يسخط الله فهذا هو الصَّبر الممدوح الذي يترتب عليه الثَّواب أمَّا إذا تسخَّط عند المصيبة فقد فاته الأجر. وفيه دليل على أنَّ رفع الصَّوت بالبكاء عند القبر ينافي الصَّبر الواجب لأنه من التسخُّط على قدر الله وعدم الرضِّا بحكمه.

الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث على فضل التَّعفُّف عن سؤال الناس والاستغناء عما في أيديهم لمن قلَّ ماله وضاقت حاله والمؤمن يتعفف عن الخلق لاستغنائه بالله وصبره وكمال توكله على الله وترفعه عن ذلة ومنة الخلق ومن تعفف عفَّه الله ومن استغنى بالله أغنى قلبه وأوسع رزقه وكفاه همه ونفس كربه ومن استغنى بالمخلوق خذله وأفقر قلبه وأذله وتخلى عنه ومن يبذل وسعه ويجاهد في تحصيل الصَّبر يعينه الله ويفتح عليه

أبواب الصَّبر. ودلَّ الحديث على أنَّ العبد لا يعطى عطاء أفضل وأعظم من الصَّبر لأنَّ الصَّبر جزاؤه بغير حساب وهذا الحديث أصل عظيم في تسلية وتعزية من ابتلي بالفقر والشِّدة.

الحديث الثالث عشر

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ فَقَالَ: انْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ ؟ فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاءُوهُ حَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ أَعْلَمُ فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبَدِّلَ لَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ). رَوَاهُ مَالِكٌ وَهُوَ مُرسَلٌ صَحِيحٌ.

دلَّ الحديث على فضل ثناء المبتلى بالمرض على الله وحمده وهذا هو مقام الصَّبر حال البلاء وقد تكفَّل الله لمن فعل ذلك بالبركة في بدنه حال شفائه وبدخول الجنَّة وتكفير سيِّئاته حال وفاته وهذا يدلُّ على عظيم ثواب الصَّابر بالمرض فينبغي على المؤمن إذا ابتلي بالمرض أن يكثر من الحمد والثناء على الله وأن يجتهد في حفظ لسانه عن التَّشكِّي للمخلوق ولا يظهر الجزع ويلزم ذلك حتى تكفَّر خطاياه وترفع درجاته وقد كان أئمة السلف في مرضهم يبالغون في حفظ كلامهم والاحتياط عن الوقوع في التَّشكِّي.

الحديث الرابع عشر

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلاءِ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيْبٌ.

دلَّ الحديث على فضل وثواب أهل البلاء يوم القيامة جزاء صبرهم ورضاهم بالبلاء والبؤس وحرمانهم من النَّعيم في الدُّنيا بحيث يتمنَّى أهل العافية أنَّ جلودهم تقرض بالمقاريض لما يرونه من كثرة وعظم الثَّواب على البلاء وهذا فيه عزاء عظيم لأهل البلاء في الدُّنيا.

الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ ، إِلَّا الْجَنَّةُ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

دلَّ الحديث على عظم فضل الصَّبر على فقد الحبيب في الدُّنيا وأنَّ من صبر على ذلك واحتسب ثوابه عند الله فله الجنَّة ويكون الصَّبر والاحتساب بترك كل ما يسخط الله من الأقوال والأعمال المحرمة سواء كانت باطنة أو ظاهرة.

الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

دلَّ الحديث على أنَّ المؤمن إذا عرض له عارض المرض أو السَّفر كتب له أجر جميع الأعمال التي كان يواظب عليها من النَّوافل وهو في حال الصحة والإقامة ولم يستطع الإتيان بها لهذا العارض وهذا يدلُّ على كمال كرم الله وجوده ولطفه بعباده. وفيه بشارة للمريض الذي عجز عن التقرُّب لله بالنَّوافل.

الحديث السابع عشر

عَنْ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ أْجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي ، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا). قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى الله عليه وسلم. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على مشروعية أن يقول المبتلى بمصيبة إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها ومن قال هذا الذِّكر حال وقوع المصيبة أعطاه الله ثواب الصَّبر على المصيبة وعوضه الله أفضل وأحسن مما فقده وبارك له في أمره فجمع له بين خيري الدُّنيا والآخرة ولمَّا فقدت أم سلمة زوجها وكان من أحسن الرجال ثم قالت هذا الذِّكر موقنة بفضل الله صابرة محتسبة للأجر عوَّضها الله خيرا من زوجها فزوَّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تظن في نفسها ألا ياتيها رجل أطيب من زوجها.

الحديث الثامن عشر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنها قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

هذا الحديث أصل في ابتلاء المؤمنين بظلم الأمراء وفسادهم واستئثارهم بثروات الأمَّة ومنعهم حقوق الرَّعية وقد وقع ما أخبر به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم منذ زمن بعيد واشتهر ذلك في سائر الأزمان وهو علم من أعلام نبوته. ودلَّ الحديث على وجوب الصَّبر على ظلم الأئمة والسَّمع والطاعة لهم بالمعروف فيؤدي المؤمن حقهم ويسأل الله حقه الذي ضيعوه ويحرم عليه الخروج عليهم وتحريض الرعية

والتشويش عليهم وورد الوعيد على مفارقة الجماعة ودلَّت السُّنة على أنَّ من صبر على ظلمهم في الدُّنيا ورد على حوض النَّبيّ صلى الله عليه وسلم في الآخرة ويالها من بشارة وفضل يسلِّي المؤمن الصَّابر وأجمع أهل السُّنة على هذا الأصل وخالفهم الخوارج والمعتزلة والرَّافضة وقد أوصى أنس رضي الله عنه الناس بالصَّبر حين شكوا إليه ظلم الحجَّاج وقال الحسن البصري: (إنَّ الحجَّاج عذاب الله فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم ولكن عليكم الإستكانة والتَّضرع فإنَّ الله تعالى يقول: (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ). ونصَّ الإمام أحمد على أنَّ الخروج على أئمة الجور ابتداع وخروج عن طريق السُّنة.

الحديث التاسع عشر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنها قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ يُرِيدُ عَيْنَيْهِ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث على فضل من صبر واحتسب الثَّواب على فقد بصره وأصبح كفيفا لا يرى وأنَّ الله يجازيه مقابل صبره على هذا البلاء العظيم بالجنَّة ونعيم الجنَّة وسرورها الدائم في الآخرة أعظم وأبقى من نعيم البصر في الدُّنيا وهذا الحديث بشارة عظيمة للمكفوفين الصَّابرين أمَّا المكفوف المتسخِّط فقد جمع بين شقائين في الدُّنيا والآخرة.

الحديث العشرون

عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنها قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَجَلْ ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ ، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:أَجَلْ ثُمَّ ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث على مضاعفة المرض والحمَّى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمضاعفة أجره وذلك لقوَّة إيمانه وكمال توكله وعظيم صبره وفي هذا دليل على أنَّ الثَّواب يزداد بزيادة البلاء. وفيه جواز إخبار المؤمن غيره بما نزل به من البلاء لغرض صحيح كالاستشارة والاستشفاء ونحوه أمَّا إذا كان من باب التَّشكِّي للمخلوق فيحرم لأنَّه ينافي الصَّبر والأدب مع الله. وفيه دليل على أنَّ الحمَّى تكفِّر الخطايا وتحط الذنوب كما تسقط الشجرة جميع ورقها في فصل الخريف فهي مطهِّرة للمؤمن بشرط ترك التسخُّط وإن صبر أجر على ذلك ورفعت درجته.

الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنها قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على اختصاص البلاء بالمؤمن غالبا لتطهيره من السَّيِّئات وتعجيل عقوبته في الدُّنيا ورفع درجته في الآخرة وحتى لا يركن إلى الدُّنيا ولا تطول غفلته ويرجع إلى ربه فالمؤمن حاله متقلِّبة مع البلاء كالشجرة الضعيفة تكفأها الريح يمنة ويسرة ولا تزيلها أمَّا الكافر والفاجر الذي ركن إلى الدُّنيا ونسي

الآخرة فيمهله الله ولا ينزل به البلاء ويمد له في النَّعيم ويستدرجه بالنِّعم حتى إذا انتهى أجله أخذه دفعة واحدة كحال شجرة الأرز القوية التي لا تضرها الريح ولا تسقط حتى تقلع من أصلها.

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنها قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى). رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

الحديث يدلُّ على أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان من هديه إذا نزل به بلاء أو أمر مهم قام إلى الصَّلاة والتجأ إلى ربه ورفع حاجنه إليه وتبرَّأ من حوله وقوته وعلَّق قلبه بالله وأحسن الظن بربه ولم يلتفت إلى المخلوقين وفي هذا دليل على أنَّ الصَّلاة من أعظم أسباب دفع البلاء وتخفيفه وكذلك الصدقة والذكر والدعاء وتلاوة القرآن تجبر الكسير وتشرح الصدر وتصلح الحال وتربط على قلب المؤمن. وروي أنَّ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نُعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحَّى عن الطَّريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: (اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ).

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

في هذا الحديث دعاء الكرب يقوله المؤمن إذا نزل به البلاء اقتداء بهدي النَّبيّ صلى الله عليه وسلم ليكشف الله كربه ويفرّج همَّه فالدعاء سلاح فعَّال في رفع البلاء ودفعه. وقد اشتمل هذا الدعاء على أعظم المعاني الشَّرعية من التَّوحيد والثَّناء والتَّمجيد وتضمَّن الاعتراف بافتقار المبتلى إلى رحمة الله

وكرمه وحلمه ولطفه ورضاه بتدبيره لتمام ملكه وتمام حكمته. وفيه دليل على ثبوت العرش لله وهو أعظم المخلوقات والله جل جلاله مستوي فوق العرش استواء يليق بجلاله كما دلَّ القرآن والسُّنة الصحيحة وأجمع على هذا أهل السُّنة على ثبوت هذه الصفة خلافا للمعطلة من المتكلمين الذين نفوا حقيقة الاستواء وحرفوا معناه فخالفوا الحق الذي كان عليه أئمة السلف واتَّبعوا عقولهم الفاسدة.

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث على جواز بكاء المؤمن بدمع العين وجواز حزن القلب عند فقد الحبيب كما بكى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لفقد ابنه إبراهيم لأنَّ هذا من مقتضى الرَّحمة والرَّأفة التي يحبُّها الله ويرحم بها ولا يؤاخذ عليها لأنَّها لا تنافي الصَّبر الواجب أمَّا رفع الصَّوت بالبكاء والنِّياحة فهي كبيرة نهى عنها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم. ودلَّ الحديث على أنَّ المؤمن حال البلاء لا يتكلم إلا بما يرضى الرب ولا يحلُّ له أن يتكلم بما يسخط الرب كالاعتراض على حكمه أو سؤال ربه لما فعلت بي هكذا وأنا أحبك ونحو هذا من الكلام المحرم الذي يتفوَّه به بعض الجهلة المسيئين ظنهم بالله والعياذ بالله والله يبتلي أوليائه وأصفيائه لحكمة بالغة لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث على كراهة تمنِّي المؤمن الموت لمصيبة نزلت به مهما كانت لأنَّ في بقائه مصلحة راجحة فإن كان محسنا يزداد من الخير وإن كان مسيئا يتوب من معصيته فإن همَّ بالدعاء فليقيِّد دعائه بالأصلح فيقول ياربِّ اختر لي الأصلح في بقائي أو موتي على حسب علمك وحكمتك أمَّا إذا خشي الفتنة في دينة فلا حرج في تمنِّي الموت كما وردت الرخصة بذلك ليسلم دينه ويموت على الإسلام وحسن الخاتمة وقد فعل ذلك جماعة من السلف قال علي رضي الله عنه في آخر خلافته عندما رأى أنَّ الأمور لا تجتمع له ولا يزداد الأمر إلاّ شدَّة: (اللهم خذني إليك فقد سئمتهم وسئموني). وقال أحمد بن حنبل: (أنا أتمنى الموت صباحا ومساء أخاف أن أفتن في الدُّنيا). وقال البخاري لما وقعت الفتنة بينه وبين أمير خراسان وجرى فيها ما جرى، قال: (اللهمَّ توفني إليك).

الحديث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنْ النَّارِ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث على فضل صبر الوالد على فقد أولاده وعظيم جزائه في الآخرة وأنَّ ما فقده من الولد يكون حاجزا يمنعه من دخول النَّار إذا كانوا اثنين فأكثر ومن زحزح عن النَّار أدخل الجنَّة وهذا الفضل عام في الولد الذي بلغ الحنث أو لم يبلغ والذكر والأنثى والمشقَّة في فقد البالغ أعظم وكلَّما زاد العدد كان الثَّواب أعظم.

الحديث السابع والعشرون

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي ، فَيَقُولُونَ : نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

دلَّ الحديث على فضل حمد المؤمن واسترجاعه عند فقد ولده ثمرة فؤاده مما يدلُّ على رضاه بقدر الله وانشراح صدره لأنَّ الله اختار له الخيرة الحسنة في ولده وجعله سببا مباركا في دخول الجنَّة وهذا مقام الرِّضا والتسليم لله ولذلك كآفأه الله بنعيم خاص ببيت في جنَّة الخلد تبنيه الملائكة وتسمِّيه بيت الحمد جزاء حمده في الدُّنيا وهذا الموقف العظيم من أعظم مواطن الحمد في الدُّنيا.

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ ؛ فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا). رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان.

دلَّ الحديث على أنَّ بعض المؤمنين يكتب له منزلة رفيعة في الجنَّة ولكنَّه مقصِّر في العمل الصالح في الدُّنيا إمَّا لتفريطه بالفرائض أو زهده في النوافل أو ارتكابه النواهي فمن حكمة الله أن ينزل به البلاء من فاقة ومرض وفقد وهم ليكفِّر سيِّئاته ويرفع درجاته ويكثر حسناته حتى يبلغ بهذا البلاء المنزلة الرَّفيعة التي أعدَّها الله له في الآخرة.

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ جُنْدَبِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث على تحريم قتل المؤمن نفسه ليتخلَّص من ألم المرض والجراحة وأنَّ هذا العمل من الكبائر التي توجب دخول النَّار لأنَّ الله ائتمنه على هذه النفس وأوجب عليه صيانتها فلا يملك التَّصرف فيها والحديث يدلُّ على أنَّه لا يباح للمسلم أن يقتل نفسه تحت تأثير التعذيب ليرتاح من هذا الجحيم بل الواجب عليه في مثل هذه الحال الصَّبر حتى يلقى ربه وهو راض عنه ومن استعان بالله وتصبَّر أعانه الله. ويحرم على المسلم الانتحار مهما بلغ به البلاء وعظم عليه الخطب وأظلمت عليه الدُّنيا ومن انتحر دخل النَّار والواجب على المؤمن الصَّبر على شدائد الدُّنيا واحتساب ثوابها عند الله. واتَّفق أهل السُّنة على أنَّ قاتل نفسه لا يخلد في النَّار كسائر أهل الكبائر لصريح القرآن والسُّنة وقد تظافرت الأدلَّة بذلك أمَّا الخوارج فضلوا الطريق وزعموا أنَّه مخلد في النَّار.

الحديث الثلاثون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث على النَّهي عن تمنِّي التعرض لقتال الكفار والإرشاد إلى سؤال العافية والصَّبر عند اللقاء وهذا الحديث أصل في نهي المؤمن عن طلب البلاء والتعرُّض له والاعتماد على نفسه وتزكينها لأنَّه لا يدري ما يعرض له وما تكون حاله حين نزول البلاء به فقد يضعف إيمانه ويفقد صبره ويجزع ويكون وبالا عليه فيقع في المحظور فنُهي عن ذلك لاعتماده على حوله وقوته وهذا من العُجب ومن اتَّكل على قوَّته خذله الله في الشَّدائد. وفيه دليل على استحباب سؤال العافية وقد كان النَّبيُّ صلى الله عليه

وسلم يكثر من الدُّعاء بها ولباس العافية أفضل وأوسع للمؤمن من البلاء والعافية كل خير في الدِّين والبدن والمال والأهل والحال وقال مطرِّف بن عبد الله: (لأَن أُعافى فأشكر أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى فأصبر). ودلَّ الحديث على وجوب الصَّبر عند لقاء العدو. وفيه أنَّ الجهاد المشروع طريق إلى الجنَّة وسبب لدخولها.

الحديث الواحد والثلاثون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

دلَّ الحديث على أنَّ ما يقع على المؤمن من البؤس في الدُّنيا من قلَّة ذات اليد وضيق الحال والحرمان من متع الدُّنيا وقهر الرِّجال وغربة الأوطان مع صبره وحمده سينقلب إلى نعيم عظيم وسرور دائم في الآخرة ينسيه ما كان فيه من بؤس وهذا يوجب له التَّفكُّر أنَّ هذه الدُّنيا وإن طالت عليه ما هي إلا أيام قليلة فليصبر على لأوائها وليلزم الطاعة والتمسُّك بالشرع وحسن الرجاء بربه وعليه باليقين بوعد الله وثوابه.

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ: (شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

دلَّ الحديث على أنَّ الابتلاء لدعاة الحق الذين يدعون إلى توحيد الله وطاعته ونبذ الشرك ووسائله سنُّة ماضية ومنهج مشهور لأعداء الله في كل زمان وأعظم ما يبتلى به الإنسان ما يكون في إسلامه وإيمانه واتّباعه للسنُّة لأنَّ ذلك قد يفضي به إلى وقوعه في الفسق أو البدعة أو الكفر فيخسر دينه والدِّين أعظم ما يملكه المسلم في حياته. وفيه إرشاد الدَّاعية إذا ابتلي بالصَّبر وقوَّة التحمُّل والثبات على الحق وعدم اليأس واحتساب الأجر عند الله. وفيه بيان لسنُّة نبويّة حكيمة في التؤدة والتأنّي في نشر الحق والسنُّة وعدم الاستعجال في تحصيل الثمرة فإنَّ تغيير المنكر وإزالة الباطل الذي تربى عليه الناس ونشأوا عليه يحتاج إلى صبر وحكمة وعناء طويل ومن استعجل الثَّمرة ودعا بلا حكمة وخالف السُّنن فسدت دعوته وانحرف عن الجادَّة ونفَّر الناس عن الحق وهذا الحديث أصل في ابتلاء الدعاة وصبرهم.

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وصف النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الدُّنيا بوصفين جميلين يحملان المرء على الافتتان والاغترار بها الأوَّل أنَّها حلوة المذاق والثَّاني أنَّها خضرة اللون بحيث يفتتن من نظر إليها وذاق طعمها ثم بيَّن النَّبيُّ صلى الله

عليه وسلم أنَّ الله زيَّنها وزخرفها لنا ليمتحننا ويختبرنا بها وينظر ماذا نعمل بملذاتها ونعيمها فمن طغى فيها وآثر نعيمها على الآخرة بارتكاب الشهوات والتفريط في الطاعات كانت الجحيم مأواه ومن خاف الوقوف بين يدي الله ونهى نفسه عن هواها واستعملها فيما أذن الله به كانت الجنَّة مأواه فالمؤمن يتَّقي فتنة الدُّنيا وزخرفها ويعمرها بالمعروف ويجعلها في يده ويخرجها من قلبه كحال السلف ولا يبيع دينه بعرض من الدُّنيا. ودلَّ الحديث على عظم فتنة النِّساء فيما مضى وفي هذه الأمَّة لأنَّ النُّفوس مجبولة على حب النِّساء والميل إليهن والفتنة بهن سريعة الوقوع والاختلاط بهن في الأماكن العامة مما تعمُّ به البلوى وتشتدُّ إليه الحاجة والرجل أضعف ما يكون في أمر النِّساء لا يصبر عنهن فمن تساهل في جانب النِّساء ورعى حول الحِمى استزله الشيطان وأوقعه في الحرام ومن شدَّد على نفسه واحتاط لدينه وسلك الورع سلم من الفتنة بهن وقد كان السلف يبالغون في الاحتياط في توقي فتنة النِّساء قال سعيد بن المسيب: (ما يئس الشَّيطان من شيئ إلا أتاه من قبل النِّساء).

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

دلَّ الحديث على أنَّ الله تعالى يبتلي عباده المؤمنين من أمُّة محمد بمرض الطَّاعون ليرحمهم بتطهير سيِّئاتهم ورفعة درجاتهم وقد كان عذابا فيمن قبلهم وهذا من فضائل هذه الأمَّة. وفيه دليل على أنَّ الابتلاء وإن كان ظاهره شر ومشقَّة إلا أنَّه خير ورحمة للمؤمن. وفيه دليل على أنَّ من أصابه الطَّاعون فبقى في بلده ولم يفر صابرا محتسبا فمات فهو شهيد وهذا الفضل فيما يظهر عام في كل وباء معدي ينتشر في البلاد ويهلك العباد. والمشروع في السنُّة حين وقوعه على بلد عدم الدُّخول عليها ومن كان فيها عدم الخروج منها لأجل الفرار منه أمَّا من خرج لغرض صحيح ولم يقصد الفرار منه فلا يدخل في النَّهي.

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

هذا الحديث أصل في الابتلاء بالنِّعم وشكرها فإنَّ الله يعطي العبد ويغدق عليه صنوفا من النِّعم ويوسِّع عليه في السَّراء ليمتحنه ويبتليه هل يشكر هذه النِّعم ويقوم بحقها أم يكفر بها ويجحد المنعم الذي

أسدى إليه فإن شكر وقام بحق المنعم استقرَّت النِّعم وزادت من باب الاحسان كحال الأعمى وإن جحد واستكبر وأنكر الجميل زالت النِّعم ومحقت من باب العقوبة كحال الأبرص والأقرع فشكر النِّعم سبب لبقائها والكفر بالنِّعم سبب لزوالها والشكر ثلاثة أركان اعتراف القلب بنعمة الله واعتراف اللسان بالمنعم وعمل الجوارح في طاعة المنعم وقد يؤخِّر الله العقوبة عن الكافر بالنِّعم ليستدرجه ويشدِّد عليه العذاب في الآخرة. والابتلاء بالخير أشدُّ على النُّفوس وأعظم فتنة من الابتلاء بالشَّر وكثير من الناس يصبر إذا ابتلي بالضَّراء ولا يصبر إذا ابتلي بالسَّراء وهذا الحديث تذكرة وعظة للأغنياء الذين فتنوا بأموالهم وتجاهلوا حقوق الفقراء والمحاويج. وفي اقتصار الأعمى على طلب البصر ولم يشترط أن يكون حسنا كصاحبيه دليل على فضل القناعة بالكفاية وهذه منزلة أهل الزهد والورع ولذلك اختار الغنم من المال. وفيه دليل على أنَّ شكر النِّعم سبب لرضا الله وكفر النِّعم سبب لسخط الله.

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: (سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ لِي: يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

دلَّ الحديث على أنَّ المال فتنته عظيمة لحلاوته وحسنه والله يختبر به العباد في الدُّنيا وسيسألهم عنه يوم القيامة فمن أخذه عن طيب نفسه من غير سؤال ولا استشراف له كان المال هنيئا مباركا فيه ومن أخذ المال من غير حقه أو طمعت نفسه إليه وكان حريصا على امتلاكه كان المال خبيثا ونزعت منه البركة ولم تشبع نفسه وأصيب بالشَّره وقد ورد الذمُّ والوعيد في سؤال الناس بغير حق ومن امتهن السُّؤال ألقيت عليه الذلَّة وقد وردت الرخصة بالسُّؤال عند الضَّرورة والتَّعفُّف أفضل. ودلَّ الحديث على أنَّ

المعطي أفضل من الآخذ وفي كل خير. وليس كثرة المال علامة على سعادة العبد ومحبة الله له ولا قلَّة المال علامة على شقاوة العبد وبغض الله له لأنَّ الله يعطي الدُّنيا من يحب ومن لا يحب ويمتحن العباد بهذا المال وقد وسَّع على الكفار في هذه الدُّنيا ليشدِّد عليهم العذاب في الآخرة والسَّعيد من أطاع الله في كل أحواله فشكر في السراء وصبر في الضراء.

الحديث السابع والثلاثون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

دلَّ الحديث على تحريم ضرب الخدود وشقِّ الثوب والنِّياحة والدُّعاء بالويل والثبور عند نزول البلاء وأنَّها ليست من طريقة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وإنَّما حرَّمها الشارع وشدَّد فيها لما فيها من إظهار الجزع والتَّسخُّط على القضاء وسوء الظنِّ بالله وهذه الأفعال كانت شائعة عند أهل الجاهليَّة ولا تزال موجودة عند أمم الكفر فيحرم على المؤمن عند المصيبة أن يقول أو يفعل أمرا منهيا عنه سواء تعلق به أو بغيره من إتلاف وتعدي بل يجب عليه أن يصبر ويحتسب الثَّواب من الله ويسلِّم أمره لله وهذا هو الفارق بين المؤمن والكافر حال البلاء فالمؤمن يصبر ويسلِّم والكافر يتسخَّط ويعترض.

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَعِندَ الْبُخَارِيُّ بِلَفْظِ: (يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ).

دلَّ الحديث على تحريم سبِّ الدَّهر عند نزول المكروه وهذا الحكم عام في كل نوع منه فيشمل سبَّ السَّاعة واليوم والليلة والشَّهر والسنَّة وإنَّما نُهي عن ذلك لأنَّ الدَّهر مخلوق لا يتصرَّف بالقدر ولا يستقلُّ بالأمر وإنَّما هو ظرف للبلاء والمتصرِّف والمقدِّر حقيقة هو الله جل جلاله وسبُّ الدَّهر من فعل أهل الجاهليَّة فإذا سبَّ المؤمن الدَّهر انصرف السبُّ لله لأنَّه هو الفاعل والمنزل للبلاء فحرِّم هذا القول وإن كان قد لا يخطر على بال المؤمن تنزيها لله وصيانة لحقِّ الله جل جلاله وبعض الجهال يظنُّ أنَّ الزَّمن له تأثير في سوء القضاء وقد يتشائم ببعض الأوقات وكل هذا باطل في الشَّرع لأنَّه ينافي التَّوحيد أمَّا إذا وصف المؤمن الدَّهر بالمكروه والشِّدة من باب الإخبار وليس على سبيل التَّسخُّط والذَّم فهذا جائز لأنَّه لا ينافي الإيمان بالقضاء وقد ورد في القرآن وقال لوط عليه االصَّلاة والسَّلام: (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ). ولا يسمَّى الله بالدَّهر ولا يوصف به لأنَّ الدَّهر ليس من أسمائه ولا من صفاته.

الحديث التاسع والثلاثون

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: (ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَارٌ فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جِيرَانٌ مِنْ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ). مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

هذا الحديث يبيّن شظف عيش النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصبرهم على الكفاف وقلّة الزاد وقد اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم هذه الحال لحكمة بالغة وآثر النَّبيُّ الفقر والزُّهد في الدُّنيا على حياة الملوك والمترفين وهذا الحديث فيه تسلية لكل مؤمن ابتلي بالفقر والدَّين وضاقت عليه الدُّنيا

فصبر ورضي بقسمة الله واستغنى بالله ولم يشتك لمخلوق ولم يرتكب ما حرَّم الله وعاش متعففا وآثر نعيم الجنَّة وقد ورد فضل عظيم للفقير الصَّابر وقال الإمام أحمد: (الصَّبر على الفقر مرتبة لا ينالها إلا الأكابر). وفيه فضل الاحسان للجيران بالطَّعام وقبول الشَّريف للهديَّة من غير سؤال واستشراف.

الحديث الأربعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هذا الحديث فيه تسلية وعزاء للمبتلى في بدنه أو ماله أو حاله وإرشاده إلى النَّظر إلى من كان دونه في الحال والنِّعم وترك النَّظر إلى من يفوقه ويتميَّز عنه ليشكر ربه على ما آتاه من النِّعم ولا يزهد فيها ويحمده على ما فقده من النِّعم فإن كان فقد نعمة فغيره ممَّن دونه فقد نعمتين وإن كان فقد نعمتين فغيره فقد ثلاثا وهكذا وإن كان فقد نعمة المال فغيره فقد العافية وفقد الأمن وهما أشدُّ من نعمة المال وإن كان فقد نعمة البصر فغيره فقد السَّمع والكلام وإن كان فقد عضوا فغيره مشلولا لا يتحرك فمن تأمل في أحوال أهل البلاء ممن شدد عليهم أيقن أنَّه وإن كان مبتلى فهو في نعمة يغبطه عليها من فقدها. وينبغي للمؤمن أن يتفكر إن كان الله أخذ منه نعمة فقد أعطاه نعما أخرى وإن أغلق عليه بابا فقد فتح له أبوابا أخرى قال عروة ابن الزبير لما قطعت رجله اليسرى: (لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لقد عافيت). ومن نظر في مصيبة غيره هانت عليه مصيبته.

تمَّ الكتاب

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات والصَّلاة والسَّلام على سيِّد البريَّات نبينا محمد وعلى آله وأزواجه الطَّاهرات.